الفصل الرابع

التكريم وعالم الحرية

1 ــ التكريم الدولي والجوائز التقديرية .

2 ــ مانديلا ورفاقه من غياهب السجن إلى عالم الحرية .

3 ــ من السجن إلى رئاسة جنوب أفريقيا .

obeikandl.com

obeikandl.com

التكريم الدولي والجوائز التقديرية

لنيلسون مانديلا

حظى الحكيم الإفريقي الكبير نيلسون مانديلا بأعلى مراتب التقدير والتشريف في مراحل حياته المختلفة ، فقد كرمته الشعوب ، والدول وزعمائها، والمنظمات السياسية ، والمؤسسات العلمية والثقافية ، والهيئات المدنية ، وأهدته الأوسمة والنياشين والجوائز التقديرية المادية والمعنوية ، وشهادات للتكريم ، والتبجيل ، والدكتوراه الفخرية ، وأطلقت اسمه على معالم ومواقع هامة ومتميزة في مختلف قارات العالم ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي :

في عام (1964 م) أنتخب نيلسون مانديلا رئيساً فخرياً لاتحاد طلبة جامعة لندن .

وفي عام (1965 م) أنتخب نيلسون مانديلا رئيساً فخرياً لاتحاد طلبة جامعة ليدز في بريطانيا .

وفي عام (1975 م) منح عضوية دائمة في اتحاد طلبة جامعة لندن.

وفي عام (1975 م) منح دكتوراه فخرية في القانون من جامعة لوسوتو .

كما تحصل على جائزة جواهر لآل نهرو للتفاهم الدولي من نيودلهي ، وفي نفس العام (1981 م) وقع (17000) شخص مذكرة قدمت لسفارة جنوب أفريقيا في باريس تطالب بإطلاق سراح نيلسون مانديلا .

في عام 1981 م . حاز على جائزة برونوكرايسكي للحقوق الإنسانية في فينا بالنمسا .

وفي سنة 1982 م . تم اختياره رئيساً فخرياً (مدى الحياة) لاتحاد طلبة جامعة لندن للعلوم السياسية والاقتصادية . كما وقع (2000) عميد بلدية أوروبية من (53) دولة مختلفة على عرائض مطالبة بإطلاق سراحه . كما طالبت منظمة الوحدة الإفريقية بإطلاق سراحه .

لقد شارك مانديلا ملك أسبانيا خلال عام 1983 م في تسلم جائزة الثائر الفنزويلي سيمون بوليفار ، كما حصل على شهادة فخرية من جامعة الدنمارك، وحق المواطنة الفخرية في روما ، وكذلك بأولمبيا باليونان ، ومُنح دكتوراة فخرية في القانون في نفس العام من كلية المدينة بنيويورك في أمريكا.

ومن جهة أخرى فقد طالب (12) عضواً في مجلس الشيوخ الأمريكي بمنح مانديلا وزوجته حق المواطنة الأمريكية ، كما طالب 78 نائباً برلمانياً بإطلاق سراحه . ودعاه الحزب العمالي البريطاني كضيف شرف في اجتماعه السنوي ، كما سميت إحدى الحدائق باسمه في بريطانيا .

هذا وقد منح شهادة دكتوراه فخرية من جامعة لانكستر وكذلك عضوية في اتحاد طلبة ناتال وجامعتها هناك ، فضلاً عن تسمية قاعة رئيسية في مدينة ليدز البريطانية باسمه ... الخ .

وفي عام 1984 م . سُمِيَّ الشارع الذي توجد به الحركة المناهضة للميز العنصري في بريطانيا باسم مانديلا ، كما انتشرت الأغاني والأسماء وعضويات عديدة في هيئات دولية مستمدة كلها من كفاح مانديلا ونضاله . كما تحصل مانديلا على جائزة الرئيس الكوبي كاسترو في هذه الأثناء .

و صدر في نفس العام قرار وقعه 135 عضواً من مجلس الشيوخ الأمريكي مطالباً بإطلاق سراحه ، كما شُيد نصب تذكاري لمانديلا في ميدان بيرون بدبلن . وفي نفس العام وقع خمسون ألف شخص على مذكرة قدمها القس (هادليستون) إلى أمين عام الأمم المتحدة بيريز دي كويلار تطالب بإطلاق سراح مانديلا وكل السجناء السياسيين في جنوب أفريقيا ، ومُنِحَ مانديلا أيضاً العضوية الفخرية في جامعة ستراث كلايد باسكتلندا .

كما تحصل على شهادات فخرية من كل من المدن التالية : جلاسكو ببريطانيا ، وجنيفين ببجليكا ، وجرين ويتش بلندن ، ومدينة ابردين باسكتلندا .

فضلاً عن كونه قد تحصل على جائزة النجمة للصداقة الدولية من جمهورية ألمانيا الديمقراطية ، كما أطلق اسمه على إحدى المدارس هناك .

أما خلال عام 1985 م ، فقد تحصل على قائمة التكريم التالي :

- عضوية مجلس مدينة لندن ونصب تمثال له بالمدينة .
- الإعلان عن منحة دراسية باسم مانديلا عن طريق اتحاد تجارة دول الكومنولث .
- أُطلق اسمه على طريق هام في بريطانيا ، وسميت باسمه إحدى الصالات الرياضية في مجمع توتنهام الرياضي ببريطانيا ، كما سار

50 عميد بلدية في مسيرة عبر لندن مطالبين باتخاذ خطـوات أكثـر فعالية ضد نظام الميز العنصري وجنوب أفريقيا العنصرية لإجبارها على إطلاق سراح نيلسون مانديلا ورفاقه من سجونها .

- وفي السنغال أطرق الرئيس عبدو ضويف بتاريخ 16 / 12 / 1985م اسم مانديلا على شارع رئيسي في العاصمة دكار .
- كما سمي ميدان رئيسي هناك باسم حي سويتو موطن السود في جنوب أفريقيا ، ومنحت له جائزة عن طريـق مؤسـسة تعنـى بالـشؤون والدراسات الاقتصادية والاجتماعية للعالم الثالث مناصفة مع زوجتـه السيدة وبني مانديلا .

أما في الأعوام من 1986 إلى 1989 م :

فقد استمر سيل الجوائز والتكريم ينهال عليـه ، وتـم إطـلاق اسـم المناضل مانديلا على الشوارع والأحياء والميادين ، وخاصة في دول قـارتي أفريقيا وأوروبا ، وشيدت له التماثيل في ساحات مهمة في بريتوريا وبريطانيا ومتحف الشمع بلندن والخاص بالزعماء والقادة والمشاهير . وأصـبح اسـمه على كل لسان ، وقد عقدت الاجتماعات من أجله وكتبت عنه صحف العالم ، وألفت عنه الكتب بكل اللغات ، وأصبح رمزاً لكفاح النـضال ضـد الميـز العنصري البغيض ، وأصبح أشهر سجين سياسي في العالم أجمع .

وفي شهر يونيو 1989 م منح ما كان يعرف (بجائزة القذافي الدولية لحقوق الإنسان) [1] في ليبيا .

---

(1) ألغيت هذه الجائزة بعد قيام ثورة 17 فبراير 2011 م في ليبيا ، وضُمت مكوناتها إلى وزارة الثقافة والمجتمع المدني بقرار من مجلس الوزراء في مارس 2012 .

2 ـ مانديلا ورفاقه من غياهب السجن إلى عالم الحرية :

وفي الختام نود أن نشير إلى أن المطالبة بإطلاق سراح مانديلا آنذاك مازالت مستمرة ، وقد تكررت في اجتماعات كثيرة وعلى أعلى المستويات في جميع أنحاء العالم ، وكان من بينها النداء الوارد في الفقرة 11 من البيان الختامي لاجتماع رؤساء دول الجنوب الأفريقي الأعضاء في منظمة الوحدة الأفريقية المنعقد في هراري بزيمبابوي في الفترة من 21 إلى 22 الربيع (مارس) 1989 م القاضي بضرورة إطلاق سراح نيلسون مانديلا دون قيد أو شرط .

وفي تلك الآونة تم الإعلان عن إطلاق سراح (8) سجناء سياسيين من رفاق مانديلاً بتاريخ 11 / 10 / 89 م بعد أن قضوا في السجن أكثر من 25 عاماً ، وقد أفرج عنهم نظراً لتقدمهم في السن ، ونتيجة للتغيرات السياسية السلمية الدولية التي بدأت تهب رياحها على المنطقة ، وكان من أبرز هؤلاء السجناء والترسيسولو وأحمد كاترادا المسلم ، حيث أفرج عنهم دون قيد أو شرط أيضاً .

ففي إطار موجة السلام العالمية ، وبناءً على اتفاق الدول الكبرى في الغرب والشرق لإنهاء النزاعات الإقليمية من أجل إيجاد مناطق هادئة يمكن للشركات الكبرى لهذه الدول من استثمار أموالها لاستخراج المواد الخام كما هو الحال في أنغولا وناميبيا ، وكذلك الحصول على المزيد من الأسواق لمنتجاتها بعيداً عن قعقعة السلاح ، خاصة في جو الكساد الاقتصادي العالمي .

في هذا الإطار تم الإفراج عن السجناء السياسيين الثمانية رفقاء نيلسون مانديلا المحكوم عليهم بالسجن مدى الحياة ، والذين أمضوا في السجن أكثر من ربع قرن ، وذلك خلال شهر أكتوبر 1989 م بعفو من الرئيس العنصري دي كلارك وهم :

1 ــ والتر سيسولو Walter Sisulu ، من مواليد 18 / 5 / 1920 م وقد أمضى 25 سنة في السجن ، وقد اتهم في محاكمة ريفون الشهيرة بأنه حاول قلب الحكومة العنصرية آنذاك ، وقد كان يشغل رئيساً لحزب المؤتمر الوطني الإفريقي (ANC) المحظور ، وهو من مدينة سويتو الشهيرة قرب جوهانسبيرج.

2 ــ أندرو ملانجيني Andrew Mlangeni من مواليد 30 / 5 / 1920م وقد أمضى 25 سنة في السجن لنفس التهمة .

3 ــ إلياس موتسواليدي Elias Motsoaledi من مواليد 26 / 7 /1924م وقد قضى ربع قرن في السجن لنفس الغرض .

4 ــ أحد كاترادا Ahmed Kathrada من مواليد 21 / 8 / 1929 وقد قضى 25 سنة في سجن جزيرة روبن بنفس التهمة ، والسيد أحمد من أصل هندي وينتمي إلى عائلة مسلمة ، وقد التقاه الباحث إثر خروجه من السجن وذلك في مدينة جابروني عاصمة جمهورية بوتسوانا.

5 ــ أوسكارا مبيثا Oscara Mpethea من مواليد الكاب تاون في 1909/8/5 م ، وقد قضى نفس المدة ، و خرج من السجن وعمره ثمانون عاماً وظروفه الصحية والاجتماعية سيئة للغاية .

6 ــ ولتون مكوايا Wilton Mkwayi ، وقد قضى في السجن 25 سنة وهو من مواليد الكاب الشرقية في 24 / 12 / 1923 م .

7 ــ رايموند مهلابا Raymond Mhlaba وقد ولد في 12 / 2 / 1920م وقضى 25 عاماً في السجن مع نفس المجموعة .

8 ــ جافتا ماسي مولا Jafat Msemola ، ولد في 12 / 12 / 1926 م وقد قضى نفس العقوبة مع زملائه المحكوم عليهم بالسجن المؤبد والأشغال الشاقة في جزيرة روبين.

وبمجرد خروجهم من السجن العنصري استقبلتهم الجماهير العريضة بالهتافات والرقص والاحتفالات باعتبارهم أبطالاً ضحوا من أجل مبدأ ، وهو مقاومة الميز العنصري في جنوب أفريقيا ، ومحاولة تحقيق مجتمع يعيش فيه كل الألوان والأجناس سواء بسواء ، وضرورة تطبيق صوت لكل شخص في الانتخابات ، وعدم حرمان السود من حقهم الطبيعي في العيش بحرية ، فوق أرضهم والتمتع بخيراتها ، وضرورة إلغاء كل القوانين الظالمة التي فرضتها الأقلية العنصرية البيضاء على الأكثرية السوداء الفقيرة والمعدومة.

وتقول بعض التقارير أن المباحثات كانت تجري وراء الكواليس منذ عام 1986 م ، وبالذات مع نيلسون مانديلا أشهر سجين في العالم لكي يتم إطلاق سراح هؤلاء السجناء كبادرة من النظام العنصري على نيته لحل مشكل الميز العنصري ، والبدء في مفاوضات مع زعماء السود في جنوب أفريقيا لإعادة صياغة الدستور والقيام بإصلاحات جذرية تمكن الأغلبية السوداء والملونين من الحصول على حقوقهم المغتصبة في إدارة شؤون بلادهم .

ولا شك أن للضغط العالمي على جنوب أفريقيا وكذلك الموقف المحرج الذي تجد فيه بريطانيا نفسها أثناء دفاعها عن النظام العنصري في جنوب أفريقيا ، وعدم السماح بفرض عقوبات اقتصادية عليه خاصة في مؤتمرات كبرى كاجتماعات دول الكومنولث ودول السوق الأوروبية المشتركة وغيرها .

كما أن للضغط المتزايد في منظمة الأمم المتحدة و منظمة دول عدم الانحياز والوحدة الإفريقية وحركات السلام وحقوق الإنسان في العالم ، بالإضافة إلى الدور الفاعل والمؤثر لحركات التحرر المستمر في المنطقة واتساع دائرة الوعي القومي بالأخطار المحدقة بمنطقة الجنوب الإفريقي ، واتساع حركة المقاومة الشعبية والاضطرابات والمظاهرات في كل مكان ، فقد أرغم كل ذلك النظام الحاكم في جنوب أفريقيا على إطلاق سراح هؤلاء الأسرى بعد أن بلغوا من العمر عتياً ، وذلك لتبييض وجهه للحصول على أطول مدة للانفراد بالسلطة في جنوب أفريقيا رغم وجد (3500) سجين سياسي آخر لازالوا في السجن في تلك الأونة.

وربما تكون المرحلة الثانية في هذا المسلسل هو إطلاق المناضل نيلسون مانديلا في أواخر هذا العام أو بداية العام القادم . وقد كانت بالفعل .

- **مطالب حركة المقاومة في جنوب أفريقيا :**

تميزت الحياة الأولى في سجن جزيرة روبن بالصعوبة والشدة ، فكان مانديلا ورفاقه يقومون بأعمال شقة كثيرة مثل تكسير الأحجار . ولكن في أواخر السبعينات وأوائل الثمانينات تغيرت الأمور ، فلم تعد هناك أعمال شاقة بمعنى الكلمة ، بل سُمح للسجناء بالمطالعة ومتابعة دراساتهم عن طريق المراسلة ، وتحصل العديد منهم على شهادات علمية متقدمة ، وحينما اكتشفت السلطات العنصرية بأن نيلسون مانديلا بدأ يكتب سيرته الذاتية قامت بنقله على الفور إلى سجن آخر يسمى بولزمور ، حيث مرض هناك وأجريت له عملية جراحية وتمت معالجته من أمراض في الصدر أيضا .

ونظراً للتطورات التي حصلت في أرجاء متفرقة من العالم وانعكاسها على ما يجري في جنوب أفريقيا وخاصة فيما يتعلق بازدياد الضغط العالمي من أجل إطلاق سراح مانديلا وضرورة إقامة إصلاحات جذرية في جنوب أفريقيا ، وكذلك نظراً لتصعيد الكفاح ضد الميز العنصري (الأبارتهايت) فقد تم نقل مانديلا رمز المقاومة الوطنية والشخصية الرئيسية التي ستحدد مستقبل جنوب أفريقيا ، تم نقله إلى بيت داخل سجن فيكتور فيرستو الواقع على بعد 35 كم من مدينة كيب تاون أقصى نقطة في جنوب القارة الأفريقية ، وقد كان برنامجه اليومي في ذلك المقر على النحو التالي :

يستيقظ مانديلا في الساعة 3.30 من صباح كل يوم ، حيث يقوم بممارسة بعض الرياضات لمدة ساعتين تقريباً يتبعها بالإفطار ، ثم الاستماع إلى نشرة الأخبار من جهاز صغير ذو موجة واحدة ، كما يشاهد برنامج

صباح الخير جنوب أفريقيا في الإذاعة المرئية وذلك حتى الساعة التاسعة صباحاً .

بعد ذلك يقضي بقية ساعات يومه بين المراسلات والكتب واستقبال زوّاره من أسرته أو رجال الدين والسياسيين ومندوبي الاتحادات وغيرهم ، وغالباً ما يأوي إلى فراشه ما بين التاسعة والنصف والعاشرة ليلاً .

إن السجن الرئيسي الذي يوجد به بيت مانديلا يقع على بعد ثلاثة كيلومترات من الشارع العام ، في حين كان البيت نفسه يقع على بعد حوالي ستة كيلومترات من المدخل الرئيسي ، حيث يؤخذ الزوار بعد تفتيشهم بدقة بالسيارات لمقابلة الزعيم مانديلا .

وكان هذا البيت مزوداً بكل الضروريات ، ويعتبر من بيوت الطبقة الوسطى ، ويحرسه (12) حارساً ، أي بعدد 3 حراس في كل وردية ، وبه مكتبة تحتوي على عدد من كتب السير الذاتية منها قصة حياة بنازير بوتو الزعيمة الباكستانية على سبيل المثال .

لقد كانت مطالب زوّار مانديلا في سجنه نفس مطالب المؤتمر الوطني الإفريقي وبقية التنظيمات الجماهيرية في جنوب أفريقيا والمتمثلة فيما يأتي :

1 ــ رفع الحظر عن التنظيمات السياسية كافة وفي مقدمتها (ANC) .

2 ــ الإفراج عن السجناء السياسيين وعلى رأسهم مانديلا دون قيد أو شرط.

3 ــ إلغاء حالة الطوارئ وإطلاق حرية الصحافة والحريات العامة .

4 ــ إلغاء نظام الميز العنصري البغيض في جنوب أفريقيا.

▪ من السجن إلى الرئاسة :

قالت صحيفة الصنداي تايمز لجنوب أفريقيا في عددها الصادر بتاريخ 10 / 2 / 1999 م بأن إف . دبليو دي كلارك رئيس النظام في جنوب أفريقيا عقد مؤتمراً صحفياً وأعلن فيه أن نيلسون مانديلا سيطلق سراحه في غضون ساعات ، وقال : إنني أمل أن ينتهج الرجل الطريق السلمي لبناء مستقبل بلاده ، وكانت عدة اجتماعات سرية قد عقدت بين الرجلين خلال المدة السابقة تركزت على إلغاء حالة الطوارئ وإعادة المحكوم عليهم خارج البلاد إلى الداخل .

كان الجو بارداً ظهر يوم الاثنين 11 / 2 / 1990 بمطار (Lanseria لان سيرا) شمال مدينة جوهانسبرغ ، ووسط رخات الأمطار والحراسة المشددة هبطت طائرة صغيرة وأسرعت إليها سيارتان (ليموزين) وطلّ الرجل بقامته الطويلة ، وبشرته الأفريقية السمراء على الجماهير المحتشدة والتي ظلت ترقص وتغني يحيا مانديلا . . أهلاً مانديلا . . ، حاملة لوحات ولافتات معبرة ، فضلاً عن أعلام المؤتمر الوطني الأفريقي وشعاراته لساعات طويلة ، لقد ضاعت تلك السيارة التي تقل أشهر سجين في العالم وسط الزحام ، واضطرت للتوقف كلياً بعد كيلومتر واحد فقط من المطار ، كان المشهد رائعاً ، فقد اكتظت شوارع زولا وجابولاني ونااليدي وكاتيلوغ في حي شارب فيل الشهير بمئات الآلاف من الأفارقة المستقبلين رجالاً ونساءً في عرس جماهيري بديع لم يسبق له مثيل .

الخطاب الأول لنيلسون مانديلا بعد الإفراج عنه

إلى الأمام . . إلى الكفاح المسلح :

بعد ساعات قليلة فقط من وصوله إلى جوهانسبرج ، ألقى مانديلا خطاباً حماسياً وسط الجماهير الحاشدة في استاد (FNB) إف إن بي ، وبعد أن حيا تلك الآلاف المؤلفة من أبناء شعبه ، باسم السلام والديمقراطية والحرية أعلن بكل صمود وكبرياء أن النضال ضد الميز العنصري لازال مستمراً بكل الوسائل للعسكرية والاقتصادية ، ومع ذلك فقد عبّر عن أمله في إيجاد فرص مناسبة للوصول إلى حل سلمي لمشاكل جنوب أفريقيا يتضمن حق الانتخاب العام في حكومة ديمقراطية غير عنصرية .

لقد تحقق حلم حرية نيلسون مانديلا ، هذا الأمل الذي راود الأفارقة السود في جنوب أفريقيا لأكثر من سبعة وعشرين عاماً ، ولكن الطريق نحو السلام والعدالة لازال طويلاً وشاقاً .

وهكذا التفت الجماهير الشعبية حول أملها ورمز نضالها في مسيرة تاريخية مليئة بالأمل والدموع ، في حين استمر مانديلا في لقاءاته ومؤتمراته وزياراته المكثفة إلى مختلف المناطق في داخل البلاد وخارجها ، فقد قام في شهر (أبريل) 1990 م بزيارة القرية التي يوجد بها الكوخ الذي عاش فيه وهو صغير ، وقد أدهشه المكان والأطفال شبه العراة هناك حيث الفقر والعوز، كما زار ناتال وغيرها من المناطق في مختلف أنحاء بلاده .

ثم توجه للخارج مبتدئاً بلوزاكا عاصمة زامبيا والتي بها المقر الرئيسي للـ (ANC) والتقى برؤساء دول المواجهة هناك ، كما زار

زيمبابوي وتنزانيا ، ثم توجه إلى بريطانيا حيث تحدث في مهرجان مسرحي كبير أعد خصيصاً له بملعب ويمبلي بلندن ، وقد دعا المجتمع الدولي إلى مزيد من المقاطعة الاقتصادية لنظام الميز العنصري في جنوب أفريقيا ، وقال إننا سوف لن نُرحب بتاتشر إذا ما زارت بلادنا في هذا الوقت نظراً لمواقفها الداعمة للعنصرية ، كما رفض مقابلتها في هذه الزيارة .

وبعد أن شارك الشعب الناميبي احتفالاته بعيد الاستقلال عن جنوب أفريقيا في 21 / 3 / 1990 ، قام بزيارة إلى عدد من الدول الأخرى ، شملت كلاً من أنغولا ، نيجيريا ، والجزائر ، وليبيا ، ومصر ، ثم زيمبابوي للمرة الثانية، كما قرر زيارة حوالي 13 دولة أوروبية ، كان الرئيس فردريك دي كلارك قد زارها خلال شهر مايو الماضي .

هذا وقد استقبل مانديلا استقبال الأبطال والفاتحين ، حيث التقى بجماهير وبزعماء هذه الدول ورؤسائها ، وتم تقليده أرفع الأوسمة والدياشين ، وكان مانديلا يؤكد على ضرورة استمرار المقاطعة الاقتصادية على جنوب أفريقيا ، وأنه لا تنازل عن مطلب إلغاء العنصرية في بلاده ، كما أن الكفاح المسلح لازال خياراً قائماً ، وقد أثنى على الجزائر وليبيا بشكل خاص وذلك لدعمهما المتواصل لحركة الكفاح في جنوب أفريقيا ، وقد أعرب عن تقديره للحكومة الجزائرية عند وصوله للجزائر في 17 / 5 / 1990 م ، حيث قلده الرئيس الشاذلي بن جديد وسام الأثير ، وهو أعلى وسام في الدولة تقديراً لنضاله وكفاحه ضد الميز العنصري ، وقد صرّح مانديلا بأن الفضل يرجع للجيش الجزائري الذي صقله ودربّه وأضفى عليه البسالة والمهارة التي يتميز بها الآن ، وكان مانديلا قد تدرب في جيش جبهة لتحرير الجزائري سنة

1961م، كما حيا دعم الأمة العربية قاطبة لنضال شعبه ومساعداتها أثناء فترة الكفاح والنضال وتضامنها معه أثناء سجنه .

وفي طرابلس بليبيا استقبل مانديلاً استقبالاً شعبياً ورسمياً حافلاً ، وأشاد في حديثه بالدور الذي لعبته هذه الدولة وشعبها في دعم حركات التحرر الوطنية وعلى رأسها المؤتمر الوطني الأفريقي في جنوب أفريقيا بكل الوسائل المادية والمعنوية ، وبالذات قضية التدريب والدعم في المجالات العسكرية ، كما أثنى على وقوف ليبيا إلى جانب شعب جنوب أفريقيا ضحية العنصرية وذلك في كافة المحافل الإقليمية والدولية .

وفي هذا الصدد ، قالت صحيفة الصنداي تايمز الصادرة بتاريخ 20 / 5 / 90 م أن نائب رئيس المؤتمر الوطني الأفريقي نيلسون مانديلا قد أثنى على الشعب الليبي وشكره على الدعم الذي قدمه بتدريب مقاتلي المؤتمر الوطني الذي اشتركوا في الكفاح المسلح ضد حكومة جنوب أفريقيا العنصرية، وعلى الجوائز والأوسمة والأنواط التي منحها هذا الشعب للمناضل مانديلا تقديراً لدوره البطولي في تحرير بلاده ، وتقديراً لدور زوجته المتميز والشجاع في إذكاء شعلة الكفاح ضد النظام العنصري أثناء سجن زوجها ولعدة عقود من الزمن .

كما أكدّ مانديلا في هذه الزيارة على تضامنه ودعمه لكفاح الشعب الفلسطيني الذي قاله عنه : إننا والفلسطينيون إخوة في خندق واحد ضد العنصرية والصهيونية.

ومن ليبيا توجه إلى مصر لحضور اجتماعات لجنة الجلوب الإفريقي التابعة لمنظمة الوحدة الإفريقية والتي تسمى لجنة الأيدهوك ، وقد استقبله

الرئيس المصري حسني مبارك وياسر عرفات ، وتسلم درجة دكتوراة فخرية من إحدى الجامعات المصرية بالقاهرة ، والتقى بالأفارقة الموجودين بها .

وفي 19 / 5 / 90 م حطت طائرته التابعة للخطوط الجوية العربية الليبية بهراري عاصمة زيمبابوي ، حيث قرّر أن يجري محادثات مع الرئيس روبرت موجابي بشأن نتائج زيارته هذه ، وأعلن أنه إذا كانت حكومة جنوب أفريقيا جادة في إجراء المفاوضات السلمية ، فإنه يتوجب عليها إلغاء كافة القوانين العنصرية والتي بسببها تقوم الجماهير الإفريقية بالاحتجاج والتظاهر في كل يوم .

وفي ختام جولته الخارجية هذه وصل إلى جنوب أفريقيا والتقى برجال الأعمال والاقتصاديين في بلاده ، وشرح لهم سياسة حزب المؤتمر الاقتصادية، ونظرته لمستقبل جنوب أفريقيا ، كما قرر أن يقوم بزيادة إلى عدد من الدول الأوربية كان الرئيس دي كلارك قد زارها ، ثم يختتم زيارته ببريطانيا وأمريكا والولايات المتحدة الأمريكية .

مانديلا يدعو إلى إيجاد ثقة متبادلة

في إطار إبداء حُسن النوايا والرغبة الجادة في حل المشكلة العنصرية وآثارها دعى نيلسون مانديلا إلى ضرورة إيجاد ثقة متبادلة بين كافة الأطراف في جنوب أفريقيا ، وعليه فقد شكّل المؤتمر الوطني الأفريقي وفداً عالي المستوى لمفاوضة وفد حكومة جنوب أفريقيا ، وقد أجريت المباحثات بين الطرفين في جو مليء بالشك والحذر والريبة .

وكان من أهم المتحدثين من أعضاء المؤتمر الوطني بالإضافة إلى نيلسون مانديلا السادة : جوسلوفو (JOE SLOVO) وأنزو (NZO) ، حيث عبروا عن معارضتهم لما يسمى بحقوق الأقلية ، وأكدوا على أن المؤتمر سوف يستمر في الكفاح حتى تلغى جميع أنواع وأشكال العنصرية في جنوب أفريقيا ، وقال مانديلا : إنه برغم نجاح المفاوضات بين الطرفين ، إلا أن هناك عدم ثقة من قبل البيض إزاء الأفارقة السود في بلاده.

وقال جو سلوفو (الرجل الأبيض وأشد أعضاء الوفد تطرفاً) إن نتائج المفاوضات سيكون لها أثر هام إذا ما اتجهت نحو الديمقراطية وحكم الأغلبية والبعد عن العنصرية ، وأكد بأنه بإعادة توزيع الثروة والأراضي توزيعاً عادلاً ، وإجراء انتخابات عامة وحرة يشارك فيها الجميع فإن الأسلحة ستكون من آثار المتاحف.

ومهما يكن من أمر ، فإن هناك جملة من العوائق في سبيل إنجاح عملية السلام في المنطقة كانت حكومة بريتوريا قد أبرزتها في تلك المفاوضات ، وتتلخص في الآتي :

1 ــ الإصرار على إلغاء أسلوب الكفاح المسلح .

2 ــ ضمان مستقبل الدولة الاقتصادي وبالذات ما يخص أوضاع وممتلكات السكان البيض منهم .

3 ــ عدم الإفراج عن السجناء السياسيين .

4 ــ تشدد الحزب اليميني المناهض لإصلاحات الحكومة.

5 ــ ظهور وجهات نظر مغايرة لمنظمات مناهضة للـ (ANC) مثـل منظمة الأنكاتا والـ (PAC) وغيرها .

ورغم تمسك مانديلا بمبادئه التي دخل من أجلها السجن منذ 27 عاماً تمسكاً قوياً ولا يمكن مساومته عليها ، إلا أنه كان دائماً يرفع شـعار غـصن الزيتون في يده ، مُطمئناً بذلك السكان البيض في جنوب أفريقية علـى عـدم الخوف على مستقبلهم ومصالحهم الاقتصادية بعد إقامة حكم الأغلبية ، وأكـدّ مراراً على اهتمام حركة المؤتمر الإفريقي بأمن واستقرار كافة المواطنين في جنوب أفريقيا دون تمييز ، وفي رده على سؤال حول الشيوعية ، قال : إنه لا ينتمي لغير المؤتمر الوطني الإفريقي . وعن بوتيليزي زعيم قبيلة الزولو قال: إنه برغم الاختلافات السياسية بينهما ، إلا أن الرجل يبدو مرناً ، وهناك فرصاً للتفاهم السلمي بين جميع الأطراف الآن ، ودعا في هذا الـصدد مقاطعـات السود المستقلة ذاتياً إلى الانضمام إلى حركة الكفاح والنضال ضد العنصرية..

وفي هذه الأثناء صدرت عدة قرارات لصالح الأغلبية الـسوداء فـي جنوب أفريقيا ، وقد تزامنت مع الإفراج عن نيلسون مانديلا ، وكان لها الأثر

الكبير في تمهيد الطريق نحو مفاوضات جادة وسلمية من أجل حل المشكل في جنوب أفريقيا حلاً نهائياً .

ومن هذه القرارات ما يلي :

1 ــ رفع الحظر عن الأحزاب المحظورة ومنها الـــ (ANC) حيث عادت كوارد هذه الأحزاب إلى الداخل تدريجياً . .

2 ــ تحرير الإعلام من جميع القيود وإطلاق حرية الصحف في هذا البلد.

3 ــ ثم الإفراج عن بعض المعتقلين السياسيين في سجون جنوب أفريقيا.

4 ــ إلغاء حكم الموت وعقوبة الإعدام من القوانين السائدة.

5 ــ فتح المستشفيات لجميع السكان وعدم قصرها على البيض فقط .

6 ــ قبول الطلاب في المدارس من جميع الأجناس والألوان دون تمييز.

7 ــ إدخال مذيعين ملونيين وسود البشرة لإذاعة أخبار تلفزيون رقم (1) المخصص للبيض دون غيرهم في السابق .

8 ــ ألغي الحظر المفروض على استعمال الشواطئ وأصبحت مفتوحة للبيض والسود على حد سواء .

9 ــ حرية التظاهر والتجمع وإبداء الآراء أصبحت مكفولة للجميع من كل الألوان .

وهكذا فقد كانت الأشهر اللاحقة لخروج مانديلا من السجن مليئة باللقاءات بين العديد من الأطراف التي يهمها جوهر الصراع في جنوب أفريقيا ، فمثلاً قام الرئيس دي كلارك بزيارة عدد من الدول الأفريقية مثل : زائير ، ساحل العاج ، زامبيا ، وموزامبيق ، كما التقى عدداً من رجال الأعمال البيض في جنوب أفريقيا مع أعضاء من حركة المؤتمر الوطني الأفريقي وذلك خارج دولة جنوب أفريقيا ، وقد استمرت لقاءات المهتمين بالشؤون الرياضية والشبابية والاتحادات الدولية مع نظرائهم في جنوب أفريقيا، كما أن الوفود الرسمية والشعبية من قارة أوروبا ولمريكا وغيرها من مختلف مناطق العالم لم تنقطع عن زيارة جنوب أفريقية ، وعلى اتصال مستمر بها ، وكانت كل هذه اللقاءات والاتصالات تصب في إطار واحد وهو الخروج من مأزق العنصرية سلمياً وبدون ضرر مادي أو معنوي لأي طرف وإقامة نظام يتم فيه الاعتراف بحقوق السكان الأصليين المشروعة .

وخلاصة القول ، فإن الطرفين قد توصلا إلى اتفاق بأن تكون الخطوة الأولى هي انعقاد جلسة اتصالات عامة بين أعضاء المؤتمر الوطني والحكومة لمناقشة جدول الأعمال التالي :

1 ــ حق عودة جميع اللاجئين بدون أي خوف .

2 ــ إلغاء أو إيقاف العمليات العسكرية .

3 ــ إزالة حالة الطوارئ في البلاد.

4 ــ إجراء مباحثات بدون شروط مسبقة باستثناء شرط إلغاء العنصرية .

5 ــ ضرورة توفر ثقة متبادلة بين الطرفين .

ومما لا شك فيه أن عقبات كثيرة ومسائل شائكة ومعقدة لازالت في تلك الأثناء أمام نيلسون مانديلا ورفاقه ، يتوجب عليهم معالجتها حتى يتحقق الحلم وتعود آزانيا إلى أهلها الطبيعيين والأصليين ، ومنها على سبيل المثال :

1 ــ مشكلة إعادة توزيع الأراضي المصادرة من قبل العنصريين البيض بعدالة بين السكان .

2 ــ صياغة دستور جديد يحمي حقوق الأقليات ويضمن في الجانب السياسي حق صوت واحد لكل شخص بغض النظر عن جنسه ولونه في جنوب أفريقيا .

3 ــ معالجة قضية الصراع الداخلي المدمر بين القبائل السوداء .

4 ــ الآثار السلبية الناتجة عن العقوبات الاقتصادية الدولية على حكومة بريتوريا .

5 ــ قضية العقوبات السياسية ضد ويني مانديلا زوجة نيلسون مانديلا .

6 ــ الموقف المتشدد للمتطرفين البيض من الأفريكانز لكافة الإصلاحات والتغيرات السلمية التي تجري في جنوب أفريقيا حالياً .

وفي كل الأحوال ، فإنه برغم الصعوبات التي تعترض طريق السلام فإن نيلسون مانديلا أصبح الأمل الوحيد لجميع الأجناس في جنوب أفريقيا كي

يحقق لها الأمن والسلام والمساواة في منطقة قاسية تعج بالشغب والاضطهاد والاضطراب ومعاناة مؤلمة وحقد دفين .

لقد دخل مانديلا التاريخ من أوسع أبوابه كثائر وقائد ومحرر لشعبه من ضيم العنصرية البغيض ، ومضحياً بعمره من أجل أن تصل سفينة شعبه إلى برّ الأمان على أنقاض (الأبارتهايت) والذي سيبقى مجرد ذكرى مؤلمة وشائنة في ضمير التاريخ .

- رئاسة المؤتمر الوطني الإفريقي ودولة جنوب أفريقيا :

خرج نيلسون مانديلا من السجن بعد عشرة آلاف يوم كاملة قضاها في المعتقل ، وكان عمره آنذاك واحداً وسبعون عاماً ، وقد شغل منصب رئاسة المؤتمر الوطني الأفريقي من (يونيو) 1991م إلى (ديسمبر) 1997 م بالإجماع ، وأصبح أول رئيس أسود لجنوب أفريقيا في (مايو) 1994م حتى (يونيو) 1999 م ، وذلك بعد إجراء انتخابات حرة شارك فيها كل أبناء جنوب أفريقيا من سود وبيض وعدد كبير من الأحزاب السياسية في البلاد .

وخلال فترة حكمه شهدت جنوب أفريقيا انتقال كبير من حكم الأقلية إلى حكم الأغلبية ، وصدور العديد من القرارات والكثير من الإنجازات لصالح السود بشكل خاص ولكافة السكان بوجه عام ، وكان لمانديلا آراءٌ مثيرة للجدل وخاصة في الغرب ، مثل آراءه في دعم للقضية الفلسطينية ، ومعارضته للسياسة الخارجية للرئيس الأمريكي جورج بوش ، وتوطيد علاقاته مع زعماء

قيادات ثورية في العالم مُنتقدة من الغرب مثل الزعيم الكوبي فيديل كاسترو وغيرها من المواقف[1] .

- تقاعده عن العمل السياسي :

بعد تقاعده في عام 1999 م تابع مانديلا تحركه مع الجمعيات والمنظمات المنادية بحقوق الإنسان حول العالم ، وتلقى عدداً كبيراً من الأوسمة والنياشين وشهادات التكريم والتقدير من رؤساء وزعماء العالم وهيئاته السياسية والأهلية والعلمية المختلفة .

وفي يونيو 2004 قرر مانديلا ذو الـ (80) عاماً التقاعد وترك الحياة العامة ، وذلك أن صحته لم تعد تسمح له بالتحرك والانتقال ، كما أنه فضل أن يقضي ما تبقى من عمره بين أفراد عائلته ، وأن يقوم بدور الحكيم والوسيط لمعالجة القضايا الأفريقية والمشاكل الدولية في مختلف أنحاء العالم ، حسبما تسمح به ظروفه الصحية ووقته الثمين .

كان مانديلا يدعو الرئيس الأمريكي بيل كلينتون (برغم فارق السن الكبير بينهما) بسيدي الرئيس ، احتراماً له وتقديراً لموقعه ، وفي هذا الصدد يقول الرئيس الأمريكي كلينتون : " بمثل هذا السلوك والتقدير الذي يغمرني به، لا يمكن أن أردّ طلباً لمانديلا كان قد سألني إيّاه " [2].

وهكذا نرى نيلسون مانديلا قبلة لكل الأحرار والمظلومين والمضطهدين وزعماء العالم وقادته ومشاهيره ، وشيبه وشبابه يحرصون على

---

(1) عن الموسوعة الإنجليزية ، الأنسكلوبيديا ، 2008 م .

(2) تقرير شريط الليبية الوثائقية ، مرجع سابق .

اللقاء به والتحدث إليه وأخذ الرأي والمشورة منه ومداعبته ، والتقاط الصور التذكارية مع هذه الشخصية الفذة والنادرة التي قلما يجود بها الدهر .

- **مؤسسة مانديلا الخيرية :**

تهدف هذه المؤسسة إلى جمع الأموال من مختلف المصادر لصرفها في مجالات البرّ والإحسان والخير ، وفي المجالات الإنسانية عامة ، وبالذات في مواجهة حالات الفقر والمرض والكوارث وغيرها .

وفي هذا الصدد يقول مانديلا نفسه : " إنه بإمكاني المساهمة في معالجة قضايا الفقر والمرض ، والاهتمام بشريحة الشباب زعماء المستقبل في بلادي وفي القارة الأفريقية عامة [1]، وكما هو معلوم فإن مانديلا عاش في منطقة فقيرة ، وشاهد بل وعانى الفقر والحرمان ، وعمل كحارس ليلي على مؤسسات ومصارف للبيض العنصريين في بلاده مقابل دراهم معدودة .

لقد كان لدى مانديلا قدرة على العمل والتنقل من مكان إلى آخر ، وكما تقول مساعدته السيدة آلان زيلدا بأن لدى مانديلا طاقة وقوة هائلة ، فهو يدهشنا بقدرته على التنقل من طائرة إلى أخرى ، ومن بلد إلى آخر ، فرغم أن سنّه قد بلغ الرابعة والثمانين (آنذاك) ، ويعاني من آلام في الركبة والرقبة ، حيث يرافقه طبيبه باستمرار ، إلا أن برامجه مزدحمة ، وأسلوب حياته منضبط ، فهو على سبيل المثال يحافظ على ممارسة الرياضة الصباحية، وأخذ الحمام ، ثم تناول وجبة الإفطار التي يتم اختيار وتحديد مكوناتها وأصنافها بعناية كبيرة.

---

(1) تقرير شريط الليبية الوثائقية ، مرجع سابق .

كما أن لمانديلا ذهنية صافية قادرة على الاستيعاب والفهم والتحليل ، فهو دقيق حتى في قراءة الصحف الصباحية .

obeikandl.com